الصحف حماسا في تاييد الفلسطينيين ، صحيفة «فلسطين» ، مع اشد الصحف محافظة «الاوريان» نلاحظ ان راي الافتتاحيات كان متشابها جدا . قالت « الاوريان » : « ان تمسكنا الشديد باستقلال لبنان وسيادته لم يمنعنا ولن يمنعنا ابدا من ان نمارس ، في المستقبل ، التعاون المثمر الى ابعد حد مع جيراننا او ان نقبل بالدفاع عن مصالحهم عند الحاجة »(١٠). وقد تعجب مراقبون كثيرون من ظهور هذه الوحدة النادرة في الراي في الافتتاحيات العربية عند نهاية العام ١٩٤٧ ، تلك الوحدة التي اخذت تنهار مع اقتراب ايار ١٩٤٨ . ولم تشذ صحيفة عن هذا النوع من الوحدة بالرغم من انه كان يظن ان بعض المسيحيين في لبنان كانوا اسهل انقيادا لفكرة تاسيس دولة يهودية في فلسطين ، لانهم ظنوا ، خطأ ، ان تاسيس دولة يهودية في فلسطين سيؤمن الحماية والدعم لهم . لكن هذا الاعتقاد لم يظهر في الصحف التي غطتها هذه الدراسة ، باستثناء البيان الذي نشره رئيس اساقفة بيروت الماروني ، الاسقف اغناطيوس مبارك في الصحف اللبنانية ، ومما قاله رئيس الاساقفة : « ان هناك اسبابا رئيسية اجتماعية وانسانية ودينية تقضي بانشاء وطنين للاقليات ، وطن مسيحي في لبنان كما كان دائما ووطن يهودي في فلسطين ... ان لبنان يطالب بالحرية ليهود فلسطين كما يتمنى حريته الخاصة واستقلاله»(١١). ومهما يكن ، فان هذه الحالة الاستثنائية التي مثلها مبارك لم تفسح المجال امام افتتاحيات مماثلة في الصحف العربية المسيحية . وقد حافظت الافتتاحيات على خطها السابق وكذلك استمر العزم قائما على مواصلة الحرب في فلسطين حتى بعد انتهاء الانتداب البريطاني .

وبالاضافة الى ان افتتاحيات الصحف كانت معارضة للصهيونية فان كتاب الافتتاحيات العرب قد بدأوا يطالبون اولا بحياد العالم وخاصة بريطانيه في فلسطين . واخذوا يدعون الدول العربية للاتحاد . واخيرا اخذوا يناشدون العرب مقاتلة الصهيونية في فلسطين بالقوة ، في حين ان الحملات الاخيرة ضد الاجانب قد تركزت بشكل خاص على الولايات المتحدة . اما بريطانيه فقد انفردت جانبا لكونها الدولة المنتدبة على فلسطين في هذه المرحلة ، ولان العرب كانوا يعتقدون ان تجريد السكان العرب من السلاح وابقاءه في ايدي الصهاينة هو خروج على الحياد(١٢). ولم يكن في نظر الصحافة ادنى شك حول من سينتصر ، لو ان القوى العالمية الكبرى تركت الشرق الاوسط بمفرده لان العرب كانوا اشد نظامية ، واخلاصا ، واقوى من اعدائهم(١٣). ان المشكلة الوحيدة التي يمكن ان تعيق الانتصار ، لو ترك العرب يستعملون وسائلهم الخاصة في تلك الحرب القاسية التي لا تعرف الرحمة والتي كان العرب سيجرون الصهاينة اليها في البر والبحر والجو(١٤)، لا تكمن في نقص في البطولة من جانب الذين يقاتلون ، ولكن في الافتقار الى الوحدة على الجبهة السياسية . وعندما يحاول الغربي عادة ان يستحضر في ذهنه صور العرب ، فان الصورة الاولى التي تقفز في المقدمة هي افتقارهم الى الوحدة ، والنزاع العنيف بينهم. وهذا المفهوم الغربي حول العرب هو المفهوم نفسه الذي يحمله العرب انفسهم . لقد كان العرب يشعرون بشيء من السمو طالما ان ساستهم يقومون بادوارهم على الوجه الصحيح .

ومع اقتراب العام ١٩٤٨ ظهر هناك نوع من الاستياء في الافتتاحيات الصحفية . وحاولت بعض الصحف ، انطلاقا من الخوف من حدوث انشقاق في الراي على الجبهة العربية ، ترويج الدعاية بقولها ان الروايات التي تتحدث عن الخلافات الداخلية مبالغ فيها ومحض مصطنعة . لقد صوروا ما قيل من اشاعات حول افتقار الجبهة العربية للوحدة على انها « افلاس سياسي يلجأ اليه اليائس »(١٥). وبالرغم من هذه المحاولة لتغطية الخلافات في القيادة العربية فان الكثير من الصحف العربية شعرت بأن هذه الخلافات هي اكثر من مصطنعة . لقد كان الشعور السائد لدى عدد لا بأس به من الصحف بأن السياسيين العرب كانوا يعملون من اجل الظهور في الصحف ومن اجل ان يكتب عنهم بالخط الاحمر العريض ، وانهم لم يدركوا ان ما حدث في فلسطين كان في الحقيقة مسالة حياة او موت . وكان هناك شعور بالخيبة من جراء التواني الذي كان يكتنف(١٦) اعمال الساسة العرب ، « في الوقت الذي كان عرب فلسطين يحترقون بقنابل اليهود وبيوتهم تدمر لا ترى في الشام غير الخطابات والمظاهرات وصور المتطوعين . وفي الوقت نفسه لم ير من وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة سوى صور الاحتفالات والولائم والخطب التي يتوعدون بها الصهاينة ومؤيديهم ، وهذا كله لم يعد بشيء